

الطفولة من اللعب الإبداعي إلى تعلم الكتابة
Childhood from creative play to learning to write

د. حجاج أم الخير

جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت (الجزائر)، ohadjaj@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/12 تاريخ القبول: 2022/11/21 تاريخ النشر: 2022/12/24

ملخص:

تحقق النشاطات والتجارب التي ينجزها الطفل في مرحلة الطفولة رصيدا في تشكيل شخصيته وتنمية استعداداته لمراحل التعلم المختلفة. فقد أكدت الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة بالطفولة أهمية هذه الخبرات وتأثيرها على حياة الطفل. وضمن هذا السياق يبحث هذا المقال في تكامل نشاطات اللعب والرسم والكتابة ودورها في تطوير مكتسبات المعارف والعلوم التي تقدمها المدرسة. كلمات مفتاحية: الطفولة؛ اللعب؛ الرسم؛ الكتابة؛ التعلم.

Abstract:

The activities and experiences that the child carries out during his childhood constitute an asset in shaping his personality and developing his preparation for the different stages of learning. Studies and scientific research related to childhood have confirmed the importance of these experiences and their impact on the life of the child. In this context, this article examines the integration of the activities of play, drawing and writing and their role in the development of knowledge and scientific acquisitions provided by the school.

Keywords: Childhood; Play; Draw; Writing; learning.

1. مقدمة:

تعد مرحلة الطفولة من أبرز المراحل العمرية في حياة الانسان تأثيرا في تشكيل قواه الجسدية والنفسية والعقلية والاجتماعية. إن جزءا حاسما من حياة الانسان يتشكل انطلاقا من هذه المرحلة في نمو الفرد، لذا انتهت مباحث الطفولة والدراسات المتعلقة بهذا المجال الانساني "إلى تأكيد أهمية الخبرات والتجارب التي يكتسبها الطفل خلال هذه الفترة من حياته وامتداد تأثيرها، ليس إلى مراحل الطفولة الأخرى فحسب، وإنما الى مرحلة الرشد أيضا، فهي خبرات تشكل دعامة وتنقش فيه أساليب التفكير والتعامل مع ذاته ومع الأفراد المحيطين به في المجتمع".¹ ولهذا السبب انصب اهتمام المعرفة الانسانية حول هذه المرحلة التي يكون فيها الانسان أكثر استعدادا للابتكار والتعلم والإبداع، فهي تمثل جذر الإنسان، فما يتلقاه الانسان في هذه المرحلة المبكرة من حياته يترك بصماته في المراحل الأخرى من عمره، ذلك أن حياة الانسان وحدة متكاملة، ففي مرحلة الطفولة توضع الجذور الأولى لتشكيل الانسان بحكم ما تتمتع به هذه المرحلة من مرونة وقبلية للتنمية والتطور وفي هذا الاطار حددت هذه المقاربة اشكالياتها حول إبراز مسارات التكامل بين اللعب والرسم والكتابة عند الطفل انطلاقا من الأسئلة الآتية:

إلى أي حد يمكن تفاعل هذه التجارب وتكاملها؟ وما هي الكفاءات المطلوبة لذلك؟ ثم ماهو الدور الذي تلعبه هذه النشاطات في الاعداد الجيد لعمليات التعلم عند الأطفال؟.

عادة ما يتم التفكير في أنشطة اللعب والرسم والكتابة في مرحلة الطفولة على أنها أنشطة لا تكمل بعضها البعض، فكل نشاط مستقل عن الآخر وينطوي على عالمه الخاص، غير أن الدراسات والبحوث المعاصرة التي اهتمت بالسياقات المختلفة لعالم الطفل وتجاربها أثبتت أن هذه النشاطات متداخلة ومتفاعلة في حياة الطفل النفسية والمعرفية ،وهي ذات أثر حاسم في تشكيل شخصية وبناء قدراته التي تسمح له بتنمية عناصر التفاعل

الاجبائي مع بيئته وتحقيق ما يتطلبه التعلم من استعدادات ذاتية وعقلية، إن قدرة الطفل على استيعاب التجارب المختلفة يعكس سلامة تفكيره وتطور نضجه المعرفي، وفي هذا الإطار جاءت هذه المقاربة لتبرز العلائق الكامنة والممكنة بين هذه النشاطات التي تشكل ضمن تجربة الطفولة نسقا موحدا يقوم على التعاون والتفاعل، مما يجعل من هذه التجربة العمرية في حياة الانسان رافدا حقيقيا داعما لتطوير المعرفة والرقى بشروط الطفولة وتنميتها وتأهيلها اجتماعيا.

2. الطفولة والتعلم:

يأخذ مفهوم التعلم دلالات متعددة في مختلف النظريات التي تناولته بالدراسة والتحليل، إلا أن هذا الاختلاف في التعريفات يكاد يضعف أمام القواسم المشتركة بين النظريات المختلفة، والتي تجعل العلم هو النشاط الذي بموجبه يكتسب الفرد المعارف والمهارات التي يلبي بها حاجياته ودوافعه وغاياته. وبهذا المعنى يصبح التعلم عملية تغير دائمة في سلوك الانسان ويظهر ذلك في تغير الأدوات لدى الفرد²، كما أن من المقاربات ما يجمع بين التعلم والنمو، فإذا كان (بياجي) ينظر إلى التعلم والنمو بوصفهما سيرورتين مستقلتين عن بعضها البعض، فإن التعلم والنمو حدثان مرتبطان عند المدرسة السلوكية. كما يُصنف التعلم إلى أنواع عديدة من حيث أشكاله وصوره، منها التغير في النواحي الحركية وفي السلوك النفسي- الحركي، ومنها التغير في النواحي العقلية التي تشمل ما يتعلمه الطفل من معارف وحقائق وطرق تفكير، ثم تغير في النواحي الوجدانية، أي في العواطف والميولات وما يكتسبه الطفل من قيم ذوقية وثقافية واجتماعية³. كما يعرف التعلم أيضا بأنه "التغير المستمر في سلوك الفرد نتيجة مروره بخبرة وتفاعله مع البيئة، وحتى يسنى التعلم تعلمًا ينبغي أن يظهر على صورة سلوك قابل للملاحظة والقياس"⁴، زيادة على تعريفات أخرى ترتبط بحقول المعرفة المختلفة ومجالات بحوثها .

وإذا كان لابد من القول أنه ليس هناك داخل النظريات المتعددة حسم نهائي لمدلول التعلم وشروطه، فإن الأمر الثابت أن جل النظريات تكاد تتفق على أن عملية التعلم هي "عملية تعديل وتغيير في سلوك الفرد.. هذا التغيير يستمر مدى الحياة، فالطفل منذ ولادته وهو على اتصال ببيئته التي تؤثر فيه ويتأثر بها، ويحاول ان يتكيف معها. وأثناء عملية التكيف هذه يكتشف الفرد أساليب جديدة للسلوك تتفق مع ميوله وتؤدي الى اشباع حاجاته وتعمل على تحقيق أهدافه"⁵.

3. الطفولة ومفهوم اللعب:

على الرغم من تعدد مفاهيم اللعب في النظريات المختلفة إلا انها تتفق في الصفات المشتركة له: وهي الحركة والنشاط والواقعية والمتعة، وفي المعنى العام يعرف اللعب على أنه "نشاط حر موجه أو نشاط غير موجه يمارسه الاطفال لغاية التسلية والمتعة ويستثمره الكبار عادة ليسهم في انماء شخصيات الاطفال بأبعادها المختلفة العقلية والجسدية والانفعالية والاجتماعية"⁶.

يبدأ اللعب مع الطفل منذ الأشهر الأولى من حياته، ويتجلى ذلك بشكل واضح في تحريك الطفل الصغير عينه نحو الأشياء المتحركة من حوله وتحريك يديه ورجليه وتشابكهما معا، ثم إن مجال هذا اللعب سيتسع ويتطور بطور الطفل وتطور جهازه العصبي والعقلي وقدراته العقلية والذهنية. إن اللعب بهذا المعنى أداة فعالة في تحقيق التوازن عند الطفل بين مكوناته الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، وعبر نشاط اللعب يكتشف المعرفة ويكتشف أبعاده الذاتية وصلته بالبيئة المحيطة به، وفي هذا السياق اعتبر (بياجي) أن اللعب يعبر عن تطور الأطفال ومتطلبا أساسيا له، فهو شديد الصلة بتكوينهم العقلي والأخلاقي، وهو بهذا المعنى "التمثيل الخالص الذي يحول المعلومات المستجدة الواردة لتتناسب مع

حاجيات الفرد ومتطلباته بحيث تصبح هذه المعلومات جزءا لا يتجزأ من البنية المعرفية للفرد⁷. وفي هذا المنظور يحقق اللعب مجموعة من الوظائف أهمها:

- "اللعب وسيلة فاعلة لتقريب المفاهيم للأطفال ومساعدتهم على إدراك معاني الأشياء.
- اللعب أداة تربوية تساعد في احداث تفاعل الطفل مع عناصر البيئة ومكوناتها لغرض تعلمه وإنماء شخصيته وسلوكه.
- يمثل اللعب أداة فاعلة يمكن استعمالها لتخليص الأطفال من الأنانية والتمركز حول الذات وتنقلهم الى مرحلة تقدير الآخرين وإعطاء الولاء للجماعة والتكيف معها.
- يُشبع اللعب ميول الاطفال ويلبي احتياجاتهم ويساعد على احداث التوازن لديهم.
- يعد اللعب وسيلة اجتماعية لتعليم الاطفال قواعد السلوك وأساليب التواصل والتكيف وتمثل القيم الاجتماعية.
- اللعب وسيلة فاعلة في اكتشاف شخصية الأطفال وإمكانياتهم النفسية والعقلية إضافة إلى أنه أداة تشخص وكشف عما يعانيه الأطفال من اضطرابات نفسية وعاطفية وهو وسيلة للعلاج أيضا.
- يمثل اللعب أسلوبا فاعلا لإطلاق القدرات الكامنة واكتشافها ورعايتها.
- يمثل اللعب وسيلة مهمة جدا لتعليم التفكير بأشكاله المختلفة ومساعدة الطفل على التخيل وبناء الصور الذهنية للأشياء"⁸. إن اللعب وفق هذا التصور ليس فقط سلوكا ترويحيا للطفل، وإنما هو أيضا عمل جاد يتطلب كعير من المهارات الأخرى تدريباً وتكراراً وإتقاناً، كما أنه في هذا المعنى نشاط ابداعي فعال في تحقيق التواصل اللفظي وبناء المهارات الابداعية والاجتماعية والتفاعلية، "لذا اعتُمد في كثير من المدارس الحديثة نشاطا تربويا أساسيا وجزء من العملية التعليمية"⁹.

1.3 أنواع اللعب:

اللعب مجال واسع وكثير الغنى والتنوع في حياة الطفل، لذا عمدت كثير من الدراسات إلى تصنيفه إلى أنواع وأشكال، من الألعاب غير المنظمة إلى الألعاب المنظمة، ومن الأشكال البسيطة إلى الأشكال المركبة، غير أنه في الاطار العام لهذه الألعاب كثيرا ما يتم اختزال تقسيمات اللعب بحسب وظائفه إلى لعب ايهامي وآخر استطلاعي.

أ- اللعب الايهامي:

شغل هذا النوع من اللعب اهتمام الباحثين ويظهر هذا النزاع من اللعب بشكله البسيط في الشهر الثامن عشر من عمر الطفل ثم يتطور في الثالثة والرابعة من العمر ليصل الى ذروة النضج في العامين الثامن والتاسع ثم يتحول هذا اللعب إلى لعب حقيقي. ولهذا النوع من اللعب قيمته الوجدانية والمعرفية في تنمية قدرات الطفل، بحيث يسمح للطفل من السيطرة على الأشياء بل وإعادة تشكيلها على نحو جديد ولأغراض غير مألوفة، "ويستخدم اللعب الايهامي كمخرج للتوتر والقلق وتفرغ رغبات الطفل المكبوتة ونزعاته العدوانية ومخاوفه وتوتراته واتجاهيته السلوكية"¹⁰.

ب- اللعب الاستطلاعي:

عبر هذا النوع من اللعب يكشف للطفل الكثير من الحقائق عن الأشياء والناس وبيئته. وفي هذا اللعب (يتعلم الطفل الكثير عن نفسه وعن قدراته وشخصيته، أي أن الطفل يكتشف باللعب العالم الحي ويكتشف ذاته تتعلم ويتم هذا التعلم من خلال تفاعله مع ما يجري في بيئته من أشخاص وأشياء وأفعال وأفكار، فتنمو مفاهيمه عنها وتتطور. ومن خلال مفاهيمه على هذه الأشياء يتعرف على نفسه، وفي كلا العمليتين يتعلم، حيث أن عملية الاكتشاف وعملية التعلم عمليتان متكاملتان وهما وجهان لعملية واحدة.¹¹

إن الوعي بفاعلية اللعب في تطوير القدرات الذهنية والمعرفية والجسدية عند الطفل أفضى لأن يكون اللعب وسيلة تربوية فعالة في ضبط الاعداد التعليمي والتربوي الموجه للطفل نظرا لما يتوفر عليه نشاط اللعب من قيم تربوية وأساليب نشطة تمكن من التفاعل مع المواد التعليمية، لهذا "أخذت المناهج التربوية الحديثة تبنى فكرة المناهج التربوية القائمة على الألعاب التربوية التي تسعى إلى تحقيق أهداف متنوعة وشاملة لجميع جوانب نمو التعلم الوجدانية والمعرفية والمهارية"¹²، إن الرسوم الأولى عند الاطفال تعوض ضعف القدرات اللغوية عن الطفل في التعبير عن نفسه وحاجياته، وعبر هذه اللغة الجسدية الصامتة يتعلم الأطفال توظيف طاقاتهم التعبيرية الفنية والإبداعية والتي تمدهم بمشاعر الثقة بالنفس، لقد ادركت المدرسة الحديثة أن اللعب عند الطفل ليس ترفا زائدا، وإنما هو أداة فعالة لتحقيق التعلم، ولذا أصبحت الألعاب وسيلة ضرورية تعتمد عليها المدارس لتطور القدرات الذهنية والعلائقية للمتعلمين، لما لهذه الألعاب من امكانيات في اشاعة جو المتعة والراحة النفسية والإثارة والتحفيز على التواصل والتفاعل الايجابي مع سياقات التعلم وشروطه.

4. الطفل من اللعب إلى الرسم:

إذا كانت اللغة هي وسيلة الطفل للتعبير عن احتياجاته ومشاعره وأحاسيسه المختلفة، فإن اللعب وسيلته للتعبير عن ذاته والتنفيس عن شحناته النفسية، فالرسم نوع من أنواع اللعب الذي يسمح للطفل بتكوين فضائه الخاص السوي، وإظهار افكاره ومشاعره والخوض في روح الإبداع وطاقاته النفسية والذهنية. "إن الرسم بهذا المعنى هو نزعة فطرية، لذا يمكن ملاحظة أن أطفال العالم يشتركون في رسم نفس الأشياء وب نفس الطريقة في نفس العمر"¹³، كما أن الرسم مرآة نكشف من خلالها عن جوانب عديدة عند الطفل مثل المخاوف والهواجس والرغبات والحالات المزاجية التي تعتريه، لأن الطفل لا يرسم فقط ما يراه، وإنما يرسم أيضا ما يشعر به وما لا يستطيع قوله بالكلمات. ومن أجل الإحاطة بهذا العالم واكتشافه اهتمت

الدراسات النفسية والانثروبولوجية منذ البداية برسوم الاطفال قصد معرفة الطريقة التي يعقلون بها عالم الخاص وهذا لأغراض علاجية، لاسيما مع رواد التحليل النفسي، "ثم سرعان ما نالت هذه الرسومات اهتماما خاصا من قبل الدراسات التربوية التي رأت فيه نقطة انطلاق لأنشطة التدريس من منطلق أن لرسوم دور حاسم في التطور للأطفال ومساعدتهم على استخدام اللغة والخيال"¹⁴.

يبدأ الرسم بالخربشة في الثانية من العمر، وفي هذا العمر يبدأ الأطفال برسوم ذات خصائص شديدة العمومية، إنهم يرسمون ما يرونه، ولكنهم يرسمون أقل ما يرونه أيضا وأكثر ما يرونه أحيانا كثيرة، إن الشخصيات الأولى للطفل لا يقصد بها التمثيل بل العرض حيث إنها تشتمل على الخبرة المثيرة كأن يجعل شيئا مرئيا في موضع لم يكن فيه كذلك من قبل، "إن مزاج الطفل وحالته الانفعالية تحدان من حركة ذراعه ويده وهو يرسم ويجذب الأثر الذي يشاهده نتيجة حركات يده على الورقة... ومن ثم يميل إلى تكراره"¹⁵ ثم يأخذ هذا النشاط في التطور بتطور سياق النمو المعرفي لديه، وهنا يبدأ بالسيطرة على مساحة الورقة وحركة يده، كما يبدأ بمواجهة الأشكال وتوجيهها إلى أن يتمكن من رسم أشكال محدودة كالدائرة والمثلث. وفي السنة الثالثة "يبدأ الرسم بخط منفرد بدلا من مجموعة من الخطوط المخربشة"¹⁶، وتتميز هذه المرحلة عند الطفل بتكرار الأشكال التي يرسمها. وهذا التكرار يمنحه الثقة بالنفس. "ويرتبط هذا السياق من التعلم باكتشاف الطفل لسحر القلم ولذة التكوين والخربشة"¹⁷، وفي السنة الثالثة تكون للطفل القدرة على التمييز بين الألوان واستحسان بعضها، وعبر هذا الرسم الحر يتمكن الطفل من تطوير مداركه وقدراته العقلية والنفسية، وأما في سن الرابعة إلى التاسعة من عمره يأخذ الرسم عنده أبعادا أكثر حرية وجمالا تعكس حيويته الداخلية بسبب انفتاحه على العالم من حوله وابتعاده نسبيا عن التمحور حول ذاته.

وبسبب هذا العلاقة بين اللعب والرسم أعتبر الرسم نوعا من الألعاب التركيبية مثلما هو نوع من الألعاب الفنية، ومثلما يكشف اللعب عند الطفل عن قواه النفسية والعقلية والجسدية، فإن الرسوم والخطوط والأشكال التي يصنعها تعكس أيضا تصوراته وانطباعاته وانفعالاته ودوافعه واستعداداته¹⁸، ويشار في هذا السياق أن الطفل ينتقل من التخطيط التلقائي اللاوعي والذي يهدف الى إرضاء ذاته إلى التخطيط الذي يأخذ أشكالا أفقية وعمودية ومائلة، تعبر عن نوع من الفهم والوعي إلى أن يبلغ الطفل مرحلة الاعتماد على تفكيره ومخيلته وخبراته المكتسبة، فتصبح تعبيراته ورسومه وخطوطه ذات صلة بالواقع.

إن نشاط اللعب ونشاط الرسم يسهمان معا في تنمية الحس الابداعي والتفكير الابتكاري للطفل، كما يسهمان في تنمية قدراته على الملاحظة وفهمه لخصائص المحيط الذي ينتمي إليه، لأن نشاط الطفل يتأثر بالبيئة والمجتمع وظروف تنشئته الاجتماعية، ومن هذا المبدأ كان اللعب والرسم من النشاطات الأساسية التي تساعد على تطوير الطاقات الابداعية والابتكارية وتعزيز القدرات على الادراك والفهم والتعلم، لذلك حرصت نظم التربية والتعليم على توفير الجو الابتكاري الذي يتميز بالمرونة والحرية والمرح والتخيل، وهي عناصر تجد في نشاط اللعب والرسم الأداة المناسبة، فلاشك أن اطلاق الطاقات الابداعية للأطفال هي من الأسس الثابتة التي تبنى بها الأمم والمجتمعات بكل ما يقتضيه هذه الطاقات من خيال وتفكير ومهارات.

وإذا كانت الدراسات والبحوث التي تناولت رسوم الأطفال مع مطلع القرن العشرين الأثر في التعريف بالقيمة الفنية والجمالية والتربوية لتلك الرسوم من حيث إنها تعبير صادق عن رغبات الطفل وحاجياته المختلفة، فإن تلك الدراسات أبرزت كذلك القيمة النفسية والتربوية للعب من حيث إنه مصدر لتعزيز الثقة بالنفس ورفع الاحساس بالسعادة والمتعة، مما يسمح للطفل بتطوير شخصية سوية وتنمية القدرات اللازمة لعمليات التعلم والاكتساب.

إن البحوث العلمية تزخر اليوم بوفرة من التجارب والمقاربات عن علاقة رسوم الاطفال بالعوامل البيئية والثقافية والجسمية والإدراكية، "وساعدت هذه الرسوم على فهم عالم الطفولة في تعقيداته الكثيرة كما اتخذت وسيلة لقياس الذكاء وسبر أغوار الشخصية والكشف عن خباياها"¹⁹. ومن هذه الاعتبارات حددت طرائق التعلم مجالين متتالين لنشاط الرسم في المرحلة الأولى من التعليم: مجال يمنح للطفل الحرية في الرسم دون قيد من أجل التعبير التلقائي عن هواجسه وميولاته ورغباته، ومجال تُبنى فيه التعليمات والتوجيهات والتي يُحدد ضمنها إطار الرسم ونشاطه وتُحدد بيداغوجيا أهدافه النفسية والمعرفية. "إن الرسم كغيره من النشاطات الفنية الأخرى يهدف تربويا الى تمكين الطفل من اكتساب الخبرات والمهارات الفنية اللازمة لتنمية الحسن الوجداني والذوق الجمالي"²⁰، ولهذا الغرض كانت نشاطات الرسم ضمن صلب المناهج التربوية والتعليمية والتي من أهدافها رعاية شؤون الطفولة وتنمية قدرات الطفل الجسدية والنفسية والعقلية حتى ينمو نموا سليما في المجتمع الذي ينتمي إليه.

5. التعلم من الرسم الى الكتابة:

تعد الكتابة من أهم منجزات الانسان وهي أهم وسائل الاتصال الانساني وهي بهذه القيمة الثقافية والحضارية مهارة مستهدفة في التعليم لما لها من دور أساسي في التعلم واكتساب المعارف المختلفة، كما أنها الغاية والمنتج النهائي لكافة مهارات اللغة، وهي بهذا تتطلب مهارات عدة وألوان كثيرة من الاستعدادات النفسية والعقلية والتي تبدأ منذ الصغر، "إنها تتشكل عند الطفل بدءا من الخربشات التي ينجزها بغير قصد، لكنها تعمل على تنمية الكتابة عنده منذ الصغر لأن الكتابة في أساسها رسم، فمن يكتب الحروف كمن يرسمها"²¹، "إن الطفل من خلال الخربشات والأشكال البسيطة يتوصل إلى تنمية قدراته البصرية والحركية. إن هذا الانجاز حتى وإن بدا بسيطا في البداية إلا أنه يشكل أساسا في

عملية تعليم الكتابة، وبهذا المعنى يكون الرسم هو الشكل الأول للكتابة عند الطفل²²، مما يتطلب تعزيز التحفيز لدى الأطفال الصغار من قبل الأسرة والمدرسة حتى يعبروا عن أفكارهم في الرسم الذي يعدمهم إلى اكتساب الآليات التي تسهل عليهم تعلم الكتابة ، مثل التحكم في المهارات الحركية والتنظيم اليدوي في رسم الحروف والأشكال والخطوط.

ومن هذه الاعتبارات كانت نشاطات اللعب والرسم ذات أهمية في تطوير المهارات الجسدية والحركية والذهنية التي تسمح للطفل بالمرور سريعا الى تعلم مهارات الكتابة وصولا به إلى التحكم في أصابع يده وتحديد ما يري رسمه ،وذلك كمقدمة للدخول في عملية اكتساب الكتابة من حيث إنها عملية أكثر تعقيدا من الرسم، لأنها تتبع قواعد محددة، لكنها لا تُعلم دفعة واحدة، وإنما هي كغيرها من المهارات تخضع إلى مبدأ التدرج الذي يراعي قدرات الأطفال واستعداداتهم، فالطفل في سياق هذا التعلم ينتقل من حرف إلى حرف ومن مجموعة حروف إلى حروف أخرى، مستعينا بخبرته البسيطة وذاكرته الناشئة. ويمر ذلك بتدريب اليد على رسم الحروف ونسخها إلى أن ترسخ هذه العملية وتسمح باكتساب عناصر أخرى من مجال الكتابة: "وفي هذا السياق يُشار إلى أن تعلم الكتابة يمر بمرحلتين عند الطفل: مرحلة ما قبل الكتابة، وفيها يتم الاهتمام بتهيئة العضلات والحركات الجسدية حتى تصبح ملائمة للكتابة، ومرحلة الكتابة الفعلية، وفيها يتم الشروع في تلقين كتابة الحروف والتدرب على نسخها"²³، وتكون هذه المرحلة الثانية مشروطة بالأولى، وفي نهايتها يكون الطفل قادرا على الالتزام بقواعد الكتابة وضوابطها المختلفة. غير أن اتمام هذه المكتسبات يحتاج إلى تدريب على تحقيق مستوى من التجويد والإنقان، فإذا كانت الكتابة كالرسم تحتاج إلى النمذجة والمحاكاة، فلا بد أن يأخذ المعلم بالمتابعة في تجويد الخط ورسمه أمام الطفل ذلك أن في الخط "مجال لتعهد كثير من المواهب العقلية كالانتباه ودقة الملاحظة والإصابة في الموازنة والحكم، وهو إلى ذلك يُعود التلميذ النظام والدقة والنظافة"²⁴ هذا اضافة إلى أن

جمالية الخط وحسن تصميمه تستثير عند المتعلم حسه المعرفي والجمالي وتصل ميولاته واستعداداته الفنية.

تُعزز العلاقة بين الرسم والكتابة في الثقافة العربية مبدأ التراسل المعرفي بين الرسم وتعليم الكتابة، فقد اقترنت الكتابة العربية في تاريخها بالفن واستطاعت بخطوطها المختلفة أن تجمع بين القيم البصرية والعناصر الحسية، "فكان الخط العربي صورة معرفية وجمالية عكست التطور الحضاري للثقافة الإسلامية"²⁵، إن الرسم بهذا المعنى عملية لازمة للكتابة من حيث أن نشاط الرسم يهيئ الطفل لتنمية العناصر والقدرات المعرفية المرتبط بشروط تعلم الكتابة مثل الذاكرة والإدراك البصري والانتباه والتكامل الحسي والتآزر البصري الحركي. ولما كانت الكتابة العربية تنهض على خصائص تميزها عن غيرها من اللغات من حيث اتجاه الكتابة وأشكال رسم الحروف وكتابتها بصريا، كان لا بد أن ينسجم تدريب الطفل على الرسم بشروط الكتابة العربية وخصائصها الحسية والبصرية. إن عملية الكتابة سواء باللغة العربية أو غيرها عملية معقدة تُكتسب على مراحل متتالية وتحتاج إلى عديد من المهارات والقدرات المختلفة، فالكتابة تتطلب دقة الإدراك للأنماط المختلفة للرموز المكتوبة التي ترتبط بكل من المهارات البصرية والحركية. وهذه تعتمد على الوظيفة البصرية للعين واليد، كم تتطلب الكتابة دقة الذاكرة البصرية الحسية الحركية للحروف والكلمات، وأمام هذه الطبيعة المعقدة، كان نشاط الرسم داعما ومساعد على اكتساب الكتابة عند الطفل، ذلك أن التدريب على اللعب واللعب التركيبي يرفع من مستوى الانتباه ومن قدرة التحكم في طاقة الجسد ووضعياته المختلفة. ومن هنا كانت المراوحة في تعليم الاطفال بين الرسم والتشكيل والكتابة بما يتوافق مع استعداداتهم النفسية والعقلية ذات أثر مفيد في تطوير الوعي اللغوي لديهم حتى يمكنهم مواجهة مختلف عناصر التعلم الأخرى بكثير من الذكاء والقدرة والوعي.

6. خاتمة.

إن الرصيد المعرفي والوجداني الذي يحققه الطفل من خلال اللعب والرسم والكتابة يسمح له بتطوير قدراته وتحقيق التفتح الذهني على بيئته ومجتمعه، كما يمكنه من فهم القضايا الفكرية والجمالية، لذا احتاجت هذه النشاطات التي ينكب عليها الطفل بكل قواه العقلية والجسدية والوجدانية من تعزيز ودعم لشخصيته وقيمه واتجاهاته، حتى يتم الوصول به إلى التجهيز السليم الذي يُعده للتعلم المفيد ويمكنه من أن يكون فردا ايجابيا في مجتمعه. وهذا التجهيز يقتضي تنمية قدراته العقلية والنفسية والاجتماعية واللغوية من جهة، ثم دعم سمات الثقافة والقيم والعادات التي تتشكل بها هويته من جهة أخرى. إن التكامل بين نشاطات اللعب والرسم والكتابة من حيث إنها نشاطات متجانسة ومتقاربة يعتبر من الأسس التربوية التي يجب على الأسرة والمدرسة وضعها في الاعتبار من أجل توسيع مجال الخبرة عند الأطفال وتخصيب قيمهم العقلية وتعبيراتهم الفنية والجمالية.

7. قائمة المراجع:

- 1- أحمد أوزي، التعليم والتعلم الفعال، نحو بيداغوجيا مفتوحة حول الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ، منشورات مجلة علوم التربية المغرب، العدد 39، 2015، ص 137.
- 2- ينظر، محمد الشرقاوي، التعلم نظريات وتطبيقات، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2010، ص 11.
- 3- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم، النظرية التطبيقية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، 2005، ص 48.
- 4- محمد محمود الحيلة، الألعاب من أجل التفكير والتعلم، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2007، ص 23.
- 5- عواطف محمد محمد حسانين، سيكولوجية التعلم، نظريات، عمليات معرفية، قدرات عقلية، مصر، المكتبة الاكاديمية، ط1، 2012، ص 29.

- 6- محمد أحمد الصوالحة، علم نفس اللعب، عمان الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط6، 2014، ص 19.
- 7- المرجع السابق، ص31.
- 8- محمد محمود الحيلة، الألعاب من أجل التفكير والتعلم، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2007، ص ص21-22.
- 9- ينظر، نقيل بنيت وآخرون، التعليم من خلال اللعب، تر: خالد العامري، مصر، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص16 وما بعدها.
- 10- محمد محمود الحيلة، الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها سيكولوجيا وتعليميا وعمليا، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط5، 2010، ص98.
- 11- محمد محمود الحيلة، الألعاب التربوية، ص121.
- 12- المرجع السابق، ص، 23.
- 13- محمد عودة الريماوي، في علم نفس الطفل، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص50.
- 14- L. Lurcat, le graphisme et l'écriture chez l'enfant, Revue française de pédagogie, v.35, oct. nov. dec.7-18.
- 15- محمد عودة الريماوي، في علم نفس الطفل، ص256.
- 16- سوسن بدر، فن الرسم عند الأطفال، جمالياته ومراحل تطوره، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط1، 2013، ص40.
- 17- ينظر، المرجع نفسه، ص43.
- 18- ينظر، منال عبد الفتاح الهندي، رسوم الأطفال، نظرة تحليلية، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص15.
- 19- ينظر، عبد المطلب أمين القرمطي، مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط2، 2001، ص17.
- 20- خالد محمد السعود، التربية الفنية بين النظرية والبيداغوجيا، الأردن، دار وائل للنشر، ج2، ط1، 2010، ص9.
- 21- Voir, Philippe wallon, le dessin de l'enfant, que sais-je, puf. Ed, point, paris, 2001, p.30

²² – L. Lurcat, Le graphisme et l'écriture chez l'enfant, Revue française de pédagogie, v.35.oct.nov. dec.7-18.

²³ – ينظر، كمال بكداش، علم النفس ومساائل اللغة، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2002، ص114.

²⁴ – عبد العليم إبراهيم، الاملاء والترقيم في الكتابة العربية، مصر، مكتبة غريب القاهرة، ط1، 1975، ص150.

²⁵ – ينظر، أحمد شومان، رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، سوريا، اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2000، ص47.